العشرات في اللغة للقيرواني (دراسة دلالية)

Tens in The Language of Kairouan (Semantic Study)

أ.م.د. منار خالد بادي: كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، العراق

Dr. Manar Khaled Badi: College of Education for Humanities, Al-Muthanna University, Iraq

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على واحد من المؤلفات الجديرة بالدراسة ؛ لما فيه من مادة لغوية تستحق بحثها وسبر غورها، فكتاب العشرات لأبي عبد الله القيرواني (ت412هـ) يجمع في طياته بين مجالين في علم اللغة هما فقه اللغة وعلم المعاجم، وهو إلى المعاجم أقرب؛ تبعا لترتيب مفرداته التي سارت على طريقة التأليف المعجمي عامة، إلا أنه قيدها بعشرة وهي عشرة معان لا الفاظ إذ تتعدد فيها الدلالات تبعا للفظ الواحد، وغاية البحث بيان التعالق الدلالي بين هذه العشرات المعنوية التي تبدو متباعدة دلالياً عن طريق التوجيه الدلالي لهذا التعالق، ومن اهم نتائج البحث التوصل الى بيان سبب الإرباك المنهجي الذي اتهم به القيرواني في عرض المفردات وتبويبها والخروج عن المألوف في حصرها، إذ كان المسوغ الذي استند عليه في عمله مع لحاظ أن تضييق المجال الدلالي وحصره بعشرة معان في لغة لا تقبل القيود يعد جهداً مائزاً يحسب للمصنف كما يحسب لغيره.

الكلمات الافتتاحية: العشرات، اللغة، القيرواني، دلالية

Abstract:

This research aims to shed light on one of the literature worthy of study; Because it contains linguistic material that deserves to be researched and explored. The Book of Tens by Abu Abdullah al-Qayrawani (d. 412 AH) combines two fields in linguistics, namely: Philology and lexicography; it is closer to the dictionaries; According to the arrangement of its vocabulary, which followed the method of lexical composition in general, but he restricted it to ten, which are ten meanings, not words, as there are many connotations in them according to one word. The purpose of the research is to show the semantic relationship between these dozens of meanings that seem semantically far apart through the semantic guidance of this relationship. One of the most important results of the research is to clarify the reason for the systematic confusion with which Al-Qayrawani was accused in presenting and categorizing the vocabulary and deviating from the norm in limiting them. The justification on which he relied on his work, with a note that narrowing the semantic field and limiting it to ten meanings

in a language that does not accept restrictions is considered a distinct effort that is calculated for the work as it is calculated for others.

Keywords: Tens, Language, Kairouan, Semantics

المقدمة:

لطالما أثبتت العربية تفوقها على باقي اللغات، لما تتماز به من خصائص متفردة، تكاد أن توصف بالخصائص المعجزة – إن صح لنا وصفها بذلك بموضوعية لا تقبل المجاملة – فصورة مطواعية الألفاظ وتشكلها مع المعنى الذي تؤديه في هيأة كيان ناطق عمّا يدور في السياق الدلالي المجتمعي الذي يعكس إرادة الفرد الناطقة، هي صورة من صور التفرّد الذي صُبغت به العربية ووُسمت به حتى عُدّت كياناً مجتمعياً ناطقاً، ومرونة الألفاظ ودرجة انسيابيتاً مع المعنى الذي تؤديه، واستيعابها للمعاني المتعددة دون التقيّد بمعنى موّحد منحها صفة التحرر وعدم التقيّد في إطار او نظام لغوي وقواعدي موّحد، فكان لها الصدارة في الاطراد على غير وتيرة واحدة، وكان لتعدد السّنن الحضور الطاغي لكسر حواجز المعيارية.

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث، والحاجة المُلحة التي استلزمت البحث في واحدٍ من المصنفات اللغوية الجديرة بالبحث؛ لما وجدنا فيه مادة تستحق الدراسة، وإلقاء الضوء على زواياه التي انماز بها، ولعلّ العنوان كفيل بجذب القارئ إلى محتواه إذ وسمّه مُصنفه أبو عبد الله القزاز القيرواني (ت 412 هـ) بـ (العشرات في اللغة)، فسمة الحصر بلفظة (العشرات) تجعلنا أمام تحد من نوع جديد، ومن أثره أنّه يُعارض ما سبق وأن عهدناه في العربية من عدم قبولها للتقيّد والحصر، لكننا إذا ما علمنا أن الهدف من هذا التصنيف هو إرادة الدلالة على قدرة المصنف نفسه على تضمين أبواب مصنفه بعشرة ألفاظٍ لاغير، وهذا منهج في التأليف يُحسب للقزاز القيرواني، مع أن أبا عمر المعروف بالزاهد قد سبقه في تأليف عشراته في اللغة[1]؛ إلا أنّ القيرواني صرّح في مقدمته أنهُ وجد في عشرات الزاهد ما يزيد عليها بالمئات من الألفاظ، وقد أخذ على نفسي مجاراة ما فيه من باب العلم متسع وسلوك طريق في التأليف غير ممتنع، إلا أنه آثر الأبقاء على (العشرات) دون (المئات)

(1) العشرات في اللغة، لأبي عبد الله القزاز القيرواني (ت 412 هـ)، تحقيق: د. يحيى عبد الرؤوف جبر، ط1، 1984، ص15.

عنواناً لما تصدر به مؤلفة؛ لما في الحصر والإيجاز من بيان على قدرة المصنف وتمكنه من ادواته، مع ضرورة بيان قدر الزيادة على ما جاء به الزاهد[1].

مشكلة البحث:

من خلال دراسة كتاب العشرات في اللغة للقيرواني استنتجت اهمية هذا الكتاب من حيث انه يكشف مدى اهمية التعالق الدلالي بين المفردات على الرغم من اختلاف معانيها اذ تعددت دلالات المفردة الواحدة حتى وصلت الى العشر كما حددها مصنفها وهي على اختلافها تنتمي فيما نرى الى دلالة مركزية مطردة يكتنفها التاصر الدلالي فتبين لي انه يستحق الدراسة والبحث بسبب ندرة الدراسات التي تحدثت عن هذا الموضوع مما زاد من تمسكي به.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي علما أن المنهجية التي سارعليها الباحث في الدرس اعتمدت على تحليل المفردات دلاليا بالارتكاز على مقومات علم اللغة في تحديد البنى والأوزان وصولا إلى العلقة الدلالية التي تجمعها

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن التعالق الدلالي الذي يجمع عشرات القيرواني على منوال دلاليّ موّحد على الرغم من تنوع المعاني التي حددها من جهة، ومن جهة أخرى نهدف إلى الكشف عن المنهجية التي اعتمدها في هذا الضرب من الجمع وتبعاً لأية قاعدة ؟ فإن قلنا بأنه ضرب من التأليف في الترادف منعنا عدول القيرواني عن ماهية الترادف المعروفة في اللغة ومخالفته للمحتوى، وإنْ قلنا بأنه ضربٌ من المشترك اللفظي منعنا العدول المنهجي للقيرواني أيضاً – ولنا وقفة مع ذلك في موضعه من البحث.

المطلب الاول: اهمية الكتاب وماهية التعالق

أولاً: أهمية الكتاب:

ضمّ هذا الكتاب معانٍ مفترقات عبرّ عنها بألفاظ متفقات وهو باب في العربية قليل، وتأليف مثله غريب، فلقد أسهب القيرواني في توضيح معاني المفردة اللغوية، وذكر الشواهد المتنوعة للمعاني التي احتوتها سواء أكانت حقيقية أم مجازية فشمل بذلك المعنى السطحي والمعنى العميق ما يمثل في علم اللغة الحديث (المعنى المركزي)، وظلال المعنى (المعنى الهامشي)، هذا فضلاً عن ذكر

(1) المصدر السابق، ص 15-16.

معانٍ انفرد بها عن بقية المعجمات إذ لم يوجد لها ذكر مسبق فيها – على لسان ما ذكره الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر-.

ويجمع الكتاب بين فرعي فقه اللغة والمعجم اللغوي، لما احتواه من مادة لغوية مع ميلنا إلى تصنيفه ضمن المعاجم اللغوية؛ لما فيه من مفردات رُتبت وفق منهج يقوم على طريقتين: طريقة تراعي الحرف الأول وأخرى تراعي الحرف الأخير، ويذكر الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر أننا إذا راعينا منهج التصنيف للعشرات على المنهج الذي اعتمدهُ ابن منظور (ت630هـ)، فإنّ تلك المفردات تدخل في باب العين، وفصول الحروف الهجائية المختلفة.

وعليه فإن هذا الكتاب (معجم لغوي مختزل اختزالاً شديداً، ليس في تقاليب المادة الواحدة وذكر معانيها وشواهدها، ولكن في مواده المفسّرة)[1].

ثانياً: ماهية التعالق الدلالي:

لسنا هنا بصدد الحديث عن معنى التعالق والإسهاب في بيان مدلولاته بقدر ما يلزمنا البحث الوقوف على ماهيته والمعنى الذي نعتمده في محتوى ما نبحث، فضلاً عن الالتزام بمسلمات البحث العلمية التي تتطلب الوقوف على ما ذكرنا بشيء من الإيجاز.

إذ نلحظ أنّ أغلب المعجمات – إنْ لم تكن جميعها – تتفق على مدلول لفظة (التعالق) على الارتباط والتماسك بين العناصر (الألفاظ) ولزوم أحدها بالآخر دلالياً[2]، يقول ابن فارس (ت 395 هـ): (علقتُ الشيء أعلقه تعليقاً، وقد عُلق به إذا لزمه)[3]، ومنه قوله تعالى: **(فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً)**[4]، فالعلقة التي تكون منها الولد، وهي واحدة العلق، وهي طور من أطوار الجنين وما سُمي بها إلا لشدة التصاقه ببطانة الرحم[5].

(1) القيرواني، العشرات في اللغة: ص20.

(2) الزمخشري، (ت 467 هـ)، أساس البلاغة دار الكتب المصرية، 1923ص 674 الزمخشري (ت 467 هـ)، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، 1923م، ص674)، ابن منظور، لسان العرب (ت 630 هـ)، طبعة بيروت، دار صادرص 254/1، الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ، تحقيق: صفوان داوودي، مادة (علق)ص 446، ، الفيروز آبادي (ت 817 هـ)، القاموس المحيط ط3، القاهرة، 1933ص 3/ 267.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979ص 126/4. و أحمد مختار عمر (1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، بيروت، 2008ص 1538/2.

(4) المؤمنون: 14.

(5) مفردات ألفاظ القرآن (علق)ص 446، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، (ت 671 هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1985: 95/9.

والتعالق مصدر من (تعالق) على وزن (تفاعَل) ومن أهم معاني هذه الصيغة المشاركة والمعاملة بين شيئين أو اكثر، ومن لوازم المعاملة الملازمة[1].

وهذا من جانب اللغة، أما في الاصطلاح فلا نكاد نجد تصريحاً اصطلاحياً ضمّ حدود هذا المفهوم، وإنما جاء موافقاً لمفهومه في اللغة، غير خارج عن حدودها الدلالية، ولعلّ ذلك يعود – من وجهة نظرنا القاصرة – إلى تداخل المفهوم مع مفاهيم لغوية مقاربة له في المضمون، ومتداخلة معه بشكل يحاكي تموضعه في السياق، مثل الترادف والمتشرك اللفظي والتضاد، وهو ما لمسناه حقاً في (عشرات القيرواني) لكن ما يمنعنا من أن ندرج جهده فيها على أنه من باب الترادف أو المشترك أو التضاد، وهو ما شهدناه من مصاديق وقفت على سور الأعراف، فلم تحقق ترادفاً كلياً في مدلولاتها، ولا هي من المشترك المطرد في معانيها، وهذا التناقض المنهجي هو الباعث الأول للبحث في هذه العشرات التي تموضعت فيها المفردات على أساس من الانتقاء؛ وشدة الالتصاق بالسياق والمدلولات، مع حفاظها على المعنى المقصود من دون الاضطرار إلى ليّ عنقها تأويلاً أو اقحام المعاني في دلالتها.

ومن صور التعالق التي رصدناها في بحثنا هذا، وقد اتكأنا فيها على معطيات علم اللغة في تقنين الألفاظ واحتوائها وتصنيف الدلالات وتشخيصها ما يأتي:

المطلب الثاني: ما اتفق وزنه واختلف معناه.

شغل هذا الضرب مساحة واسعة من عشرات القيرواني وشكل حضوراً لافتاً، فاتفاق الألفاظ وزناً وشكلاً يوحي للقارئ بأنه أمام ضرب من المشترك اللفظي بما لا يوحي بجديد في هذا المضمار، إلا أنّ اللافت في العشرات حفاظها على الأصل وتعالقها مع دلالته.

بصورة تخلق مجالاً جديداً للمشترك الجذري – إن صح لنا تسميته بذلك – وهو مجال يلزم الالتصاق والتعالق مع الجذر دونما الافلات عنه، وهذا غير ملزم في المشترك اللفظي، ومن مصاديقه:

1- **(الجَزْم)**: القطع، وإيجاب الشيء إذا جزمت على فلان كذا، أي: أوجبته، والجَزْم ضرب من الكتابة في قلم جَزْم لا حرف له، والجزم في القراءة ترك المد أي قطعة، والجزْم، الحَزر، وقد حزمت النخلة إذا حززتها، أي: قطعتها، والجزم هو الشيء يحشى في جماء الناقة لتحسبه إذا وضعته ولدها فترأمه، أي: تقطع نفورها له، والجزم الريّ من الماء، أي: قطع العطش، والجزم،

(1) أحمد بن محمد الحملاوي، (ت 1315 هـ)، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض، المجلد الأول: 34، والمهذب في علم التصريف، د. هاشم طه شلاش وآخرون ص83.

القطع في الشيء الذي يأتي قبل حينه[1]، فنلحظ اطراد الأصل اللغوي لمفردة (الجزم) على الرغم من تعدد مدلولاتها، مما يعكس تعالقها الدلالي والتصاقها بمعنى (القطع)، الذي جاء متضاماً مع تموضع المفردة في السياق الدّال عليها.

2- **(الجُفْن)**: غطاء العين، وغمْد السّيف، وأصول الكَرْم عند قوم ويقصدون (جنس من العنب) ويريدون الجذور، والجُفْن شجرة طيبة الريح تُسدّ بها جرار الخمر، أي: تُغطى، والجُفْن: نبات من أحرار البقول ينبت مسطحاً، أي: يُغطي سطح الأرض، والجفْن ضربان من النبت، والجفنة منه وهي أعظم قصاع الأرض تغطية، وجفن اللحم إذا جعله في الجفان، أي: غطاه عن التعفن، وجفن الرجل نفسه إذا كفّها ولزم التستر والخفاء[2]. فإذا ما عرجنا على دوال هذه اللفظة لحظنا تواردها على منوال واحد من الأصل اللغوي وهو (الغطاء) وهذا واضح من غطاء العين، أي: جفنها وغطاء السيف، وغطاء جرار الخمر، بشكل مباشر، وبتأويل مجازي مقبول في تعبيره عن أصول الكرم، أي: جذور العنب التي من البديهي أن يكون تواجدها داخل التربة ممّا يعني تغطيتها، وعلى النقيض من ذلك تغطية النبات لوجه الأرض على سبيل السعة، وفي كل هذا وذاك يبقى الأصل اللغوي متعالقاً بشكل انسيابي مع مدلول المفردات التي تماسكت تحت ظله الدلالي.

3- **(الدّرْس)**: محو آثار المنزل، والثوبُ الخَلق، والدّرْس، درس الطعام، ودرست الريح المكان درساً إذا عفته، والدّرْس مصدر درس القرآن إذا قرأته ومحوت هجرانه، والدرس، تليين الشيء وتذليله بعد ان محوت صلابته، والدرس: الطريق الموطوء بمحو آثاره، والدرس: بقية الحنّاء في يدّ الجارية[3].

فمع تعدد الدلالات للمفردة الواحدة يبقى الأصل اللغوي مّطرد فيها مع تغير العلل الدلالية، واطّرادها جارٍ على سنن واحد ألا وهو دلالتها على (المحو والإزالة) ومن بديع هذا الاطراد التصاقه بكل معنى على الدرجة والقوة نفسها، فلا تفاضل بينها ولا غلبة لأحدها على الآخر، فمحو آثار المنزل هو نفسه محو آثار الجدّة، وهو محو هياة الطعام أو شكله بعد درسه من الصلابة إلى المسحوق وهو محو آثار المكان بعد أن سفته الريح، وهو محو بقايا صيغة الحناء بعد حين من وضعها.

(1) االقيرواني، العشرات في اللغة (الجزم) ص 46–48، ولأزهري وتهذيب اللغة، نشر: عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، بيروت، 1968: 628/10.

(2) القيرواني، العشرات في اللغة (الجفن) ص 53–54، و الزمخشري، أساس البلاغة ص 121، والمخصص، أبن سيده، طبعة بولاق، 1312 هـ: 11/ 196، ومعجم الصواب اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008: 1/ 295، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، محمد العدناني، مكتبة لبنان، ط2، 1996 ص 118.

(3) القيرواني، العشرات في اللغة (الدّرس) ص 121–122، وابن دريد جمهرة اللغة، حيدر أباد، 1351 هـ: 245/2، و ابن سيدة، المخصص: 162/7، و ابن منظور، لسان العرب: 245/5.

4- **(الجلدَ)**: القوة، وما صلب من الأرض، وجلد الحوار لما يُعرف عنه من قوة، والجَلَدَ: الإبل التي لا ألبان لها، والجَلَدَ: من الإبل الكبار التي لا صغار لها، والجَلَدَ: كبار الإبل عموماً، والجَلَدَ: الصبر، والجليد من الرجال الصابر، والجَلَدَ: الأكمة، والجَلَدَ جمع (جلدة) وهي الشاة التي يموت ولدها حين الوضع لقوة الدفع، والجَلَدَ: الأرض المستوية الجرداء[1].

وهكذا فإننا نلحظ أيضاً تعالقاً ملزماً أكتنف المعاني بمدلول واحد هو (القوة والصلابة)، وقد جاء متسقاً مع السياق الذي حال دون استبداله بموضع آخر من جهة اللفظ، وإمكانية الاستبدال الدلالي المعنوي للمفردة، فالجميع يسير على نهج واحد ممثلاً بالعلقة الدّالة والمتآصرة في جذر لغوي يمثل المركز والمعنى وظلاله مما يمثل الهامش المنجذب نحو المركز بشكل طيع لا تكلف فيه[2].

المطلب الثالث: ما اتفق أصله (جذره) واختلف وزنه ومعناه

ونقصد بهذا الضرب (المشتقات) إذ يلزم فيها أن تكون نابعة من جذر لغوي واحد مع تعدد صورها، أي: (أوزانها) نحو: كتب/ كاتب، ومكتوب وكتاب ومكتب، فكلها من مادة (ك ت ب)، مع اختلاف الوزن على (فاعل ومفعول وفعّال ومَفْعَل).

إلا أنّ الذي يميز المشتقات التي أوردها القيرواني في عشراته أنّه على الرغم من توحدّها في الجذر اللغوي إلا انها افترقت عنه في المعنى المركزية الذي يمثل علقة الارتباط الدلالي فيما بينها، وهذا من الغريب الذي لم نجده في كتب اللغة، فمن المعلوم أنّ الاشتقاق لا يلغي دلالة الأصل، بل يؤكدها مع زيادة، وهذا مطرّد في مجال الزيادة التي تدخل على الأفعال فنزيد على معناها الأصل، وعرفت بـ (معاني الزيادة)[3]، والمشتقات كذلك، فكلمة مثل: كاتب تدل على الكتابة وزيادة، وكذلك الألفاظ الأخرى، فكلّ (زيادة في المبنى تدلّ على زيادة في المعنى)[4]، وهذا من المسلمات.

(1) القيرواني، العشرات في اللغة (جلد) ص 49-50، والبطليوسي المثلث، تحقيق: صلاح مهدي الفرطوسي، بغداد، 1981: 1/ 424.

(2) القيرواني، العشرات في اللغة مادة (الثور) ص 43-45، و (الجعد)ص 51-52، و (الحرف)ص 71، و (الحول) ص81-82، و (الدّك) ص 123-124، و (الحرج) ص 65-67، و (الخدر) ص 90-91، وغيرها.

(3) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط4، بغداد، ، 1990: 3/ 271، وابن جني، لمحتسب، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، و حسام النعيمي الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ، منشورات وزارة الثقافة العراقية، دار الرشيد، 1980: 284.

(4) ابن جني الخصائص: 3/ 265، والرضي الأستر آبادي شرح الشافية، ، تحقيق: محمد الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، بيروت – لبنان، 1975: 1/ 83، ومحمد بن علي حاشية الصبان على شرح الأشموني، ، ترتيب: مصطفى أحمد حسين، القاهرة، 1947: 1/ 46.

وعليه يتبادر في ذهننا السؤال الآتي: على ماذا استند القيرواني في فصله للمشتقات في عشراته كلّ على حدّة؟ وكيف تمّ الاختيار؟

والذي يبدو لنا اعتمادهُ على التعالق الدلالي الذي ضمّ كل مشتق بدلالة منفردة عن غيرها، إذ مثل كل مبنى منها وحدة دلالية متعالقة مع نفسها، ومخالفة بصور الأشتقاق الأخرى بدلالة فارقة ومن مصاديق ذلك:

1- (أخلف الخالف والخالفة الخلفة):

هذه صورة تتحد في الجذر اللغوي (خ ل ف) إلا أنها جاءت في صور من التعالق الدلالي المتفرد بمعانٍ خاصة تربط بين عشراتها على افتراق مع الجذر فـ (اخلف): يقال أخلف فلان: إذا استقى لأهله ماء عند الخلو، وأخلفت الناقة إذا لم تحمل، وأخلفت النخلة إذا لم تحمل سنتها، وأخلف الرجل إذا ردّ يدهُ إلى سيفه، وأخلف المال غيره إذا أفادهُ، وأخلفت الرجل إذا لم تف له، وأخلفته إذا وعدك فلم يف لك، وأخلفت الأرض إخلافاً إذا أصابها الندى فأنبتت بعد الخلو، وأخلف فم الرجل إذا تغيرت ريحه لخلوه، وأخلف المال استفادة بعد بعد حاجة وخلو[1]، فنلحظ اطّراد معنى (الخلو) الذي يمثل العلقة الدلالية التي تربط بين العشرات في تناسق سياقي ملزم لهذا التماسك.

أما (الخالف والخالفة): فتكاد تغلب على معناها دلالة (التراجع أو التأخر وعدم إصابة الخير والمفسدة)، إذ يقال: فلان خالف قومه أي: يخلفهم فيقعد بعدهم، وكذا امرأة خالفة، وأمّة خالفة، أي: فاسدة، ورجل خالف وامرأة خالفة، أي: فاسدة، وهذا رجل خالف وخالفة كثيري الخلاف بما لا خير فيه، ومنه سمي النبيذ خالف لما يصيبه من مفسدة، والخالفة: الزاوية المتأخرة، ومنه خوالف البيت زواياه، والخالفة عمود من أعمدة الخباء وهو المؤخر فيه، وفلان خالفة من الخوالف، أي: لا خير عنده، والخالفة من الأمم هي الأمة السالفة، والخالفة في الخباء هو البوان، أي: عمود الخباء المتأخر عن بقية الأعمدة[2].

أما (الخلفة): فهي نبت ينبت بعد نبت، وخلفة الشجر تمر يخرج بعد ثمر، والخِلفة كل شيء خلف شيئاً أو كان بديلاً عنه، ومنه قوله تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً)**، وكل لونين اجتمعا فهما خلفة كالسواد والبياض، والظباء تمشي خلفة، أي: يستقبل بعضها بعضاً، أي: تذهب

(1) القيرواني، العشرات في اللغة مادة (أخلف) ص 104، و (الخلفة) ص 102، والسرقسطي كتاب الأفعال، تحقيق: حسين محمد شرف، القاهرة، 1975: 1/ 446.

(2) القيرواني، العشرات في اللغة مادة (الخلف والخالفة) ص 107.

هذه وتجيء هذه، والخلفة: زرع الحبوب لاستمرار إنباتها، والخلفة مصدر للاختلاف الذي يلزم التتابع وذلك من اختلف فلان صاحبه وذلك أن يباصره حتى إذا غاب جاء فدخل عليه[1].

فدلالة (التتابع والاستمرار) هي الأكثر وضوحاً فيما عرضه القيرواني في هذا الموضع من مفردات فضلاً عن معنى (المبادلة) التي تحيط بسياق المفردة فتجعلها مأسورة بحبل متعالق في دائرة دلالية مُحكمة الالتصاق تكاد أن تكون مغلقة عن سابقتها، فما تتابع الليل والنهار وتبدلهما بصورة مستمرة وعملية الأنبات لثمر بعد ثمر وخلفة الظباء حينما تذهب هذه وتجيء هذه إلا صورة عاكسة للدلالة التي علقت بسياقاتها المتنوعة وتوظيفها في المقام المناسب.

وعلى العكس من الصورة الاشتقاقية الآنفة الذكر وظّف القيرواني البنى التي اتفقت في الجذر اللغوي في مواضع متفرقة من عشراته على الرغم من اتفاقها في الدلالة، وكان الأولى أن يجمعها في موضع واحد، لتعالقها الدلالي الواضح والمطرّد سياقياً، ويعدّ هذا باب من الخروج عن المألوف في جمع اللغة، ومن صوره:

2- **(الدّبر الدّابر):**

فعلى الرغم من أنهما ينبعان من جذر واحد مادته (د ب ر)، وتعالقهما في الدلالة على معنى (الذهاب) في أغلب تصاريفها، إلا أنّ القيرواني تحدث عنهما بموضع مستقل، فذكر أن الدّبْر: الذهاب، ولذلك قالوا: ذهب كما ذهب أمس الدابر، والدّبر: مصدر دبرَ السهمُ الهدف إذا سقط وراءه، والدّبر: الكتابة، وأدبر العاقبة، وذكر في مادة (الدّابر) أنه: الذاهب، ومنه أمس الدابر، والدابر: السهم الذي دبر الهدف، أي: وقع خلفه، والدابر: الكاتب، ودابر الرجل: عاقبها[2].

3- **(العَرْض العارض العُرْض):**

فعلى اتفاقها في الأصل اللغوي (ع ر ض) وأطّراد معانيها في دلالات متصاحبة، مما يمكن أي لغوي من الجمع بينها لا فصلها إلا أن القيرواني فصل بينها قائلاً: العرض البرق، يعرض عرضاً، إذا اضطرب ولاح ويريد السحاب الممطر، والعرض: الجبل أو الناحية وما يقصد من لجوانب، و (العارض) من السحاب ما يستقبلك بالمطر ومنه قوله تعالى: **(هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا)** والعارض: جانب العراق، والعارض: في اليمامة، و (العُرْض) ناحية الشيء، وعُرْض النهر: ناحيته، وكذا عُرْض

(1) القيرواني، العشرات في اللغة مادة (الخلفة) ص 102، والسرقسطي، كتاب الأفعال: 2/ 228، و البطليوسي المثلث: 1/ 506.

(2) القيرواني، العشرات في اللغة مادة (الدّبر) ص 115-116، و (الدّابر): 117-118، وابن سيدة المخصص: 8/ 178.

الجبل[1]، فنلحظ اتفاقها في معنى (السحاب، والناحية أو الجانب والنهر والجبل وما يعترض من عوارض)، مما يسوّغ جمعها في موضع واحد لا الفصل بينها وفك تعالقها.

4- **(العقيق والعقيقة):**

فكلاها من مادة (ع ق ق) الدّالة على (الشق) إلا أنهّما فصلا مع دلالتهما المترادفة، فالعقيق: المشقوق، والعقيق: خرز معروف تعمل منه الفصوص، والعقيق موضع الأنبات، والعقيق موضع يحفر في الرمل للبهم مثل النهر، أما (العقيقة) فهي خرزة حمراء هي نفسها العقيق الأحمر الذي يتخذ منها الفصوص والواحدة عقيقة، والعقيقة أول نبت الأرض موضعه، والعقيقة النهر[2].

5- **(الغَرْب والغَرَب):**

فالأصل (غ ر ب) وتتفق المفردتان في دلالة (الحدّة والشدة)اذ ذكر القيرواني ان غرب السنان حده، وكذا غرْب السكين، ، والغرْب: الحدّة في الأسنان، يقال: كُفّ ذلك من غرْبه، أي: من جدّته، وغرْب الجري: شدته، وغرْب الشباب شدهُ ونشاطه، أي: شدة ذلك، و (الغَرَب) شدة العطش، وشدّة الزرَق في عين الفرس، والغرَب في الناس، شدة ابيضاض الرأس واللحية من خلق لا من كبر والغَرَب: ورم في المآق، وقد غرَبت العين غرْباً، إذا أصابها ذلك، وغرب في عينيه اذا كان دمعه يسيل دون انقطاع والأغراب من الغَرَب الأسنان، سميت بذلك لبياضها[3].

ومن خلال عرضنا لهذه المصاديق توضح لنا إمكانية جمعها في حقل دلالي موّحد لانها قائمة على طبيعة الاشتقاق اللغوي، فكلها يعود إلى جذر واحد تتنوع صوره بين مشتق ومصدر وفعل ما يعني ارتباطها وتداخلها في نسق دلالي واحد، يمثل المعنى وظلال المعنى، وهذا ما الفناه في العديد من المصنفات اللغوية في هذا المجال فمعظم معجمات اللغة تقوم على حصر اللفظة في حقل دلالي خاص بالجذر وصوره أي مشتقاته وهو مالم نألفه عند القيرواني في المواضع السابقة.

(1) القيرواني، العشرات في اللغة مادة (العَرْض) ص 192-193، و (العارض) ص 194-196، و (العُرْض) ص 197-198، وابن فارس، مقاييس اللغة: 4/ 275.

(2) القيرواني، العشرات في اللغة مادة (العقيق) ص 207- 208، و (العقيقة) ص 209-211.

(3) القيرواني، العشرات في اللغة مادة (الغرْب) ص 221-224، و (الغارب) ص 228-231، ابن جني، الخصائص: 2/ 149، والازهري، تهذيب اللغة: 8/ 113، وابن سيدة، المخصص: 5/ 104.

المطلب الرابع: الفصل بين المذكر والمؤنث والاصل واحد.

لعلّ هذا الموضع من أغرب المواضع التي لمحناها في عشرات القيرواني، فمن غير المألوف فصل المذكر عن المؤنث في دلالة كلّ منهما على الرغم من التعالق والترابط التام بينهما، فالعلاقة قائمة على الأصل والفرع وكلاهما يكملان بعضهما سياقياً، وقد تجسد ذلك:

في **مفردتي (الحمار الحمارة)**: فدلالة أحدهما هي دلالة الآخر بعلاقة ضدية من حيث الجنس، وأصلها واحد وبالتالي من غير المتوقع فصلهما عن بعضهما دلالياً، إلا إنّ ذلك ما تحقق على يد القيرواني في حديثه عنهما، فالحمار فيما ذكره: معروف ويعني الحيوان، والحمار، خشبة تكون في السرج والإكاف، أي: مقدمة الهودج، والحمار: حجر والجمع حمائر[1]، أما (الحمارة): فهي الأنثى من الحمير، والحمارة: حجر عريض والجمع حمائر توضع على القبر، والحمارة: إحدى ثلاث خشبات يقال لها الحمائر، والحمارة: إحدى حمائر الهودج، أي: خشباته[2]، فمن الواضح شجة التعالق الدلالي بين لفظتي (الحمار والحمارة) ممّا لا يسوّغ فصلهما لاسيما وأنهما لا يختلفان إلا بدلالة التذكير والتأنيث وهي من أشدّ العلائق تماسكاً وترابطاً ممّا يعطينا صورة متلاحمة عن طريق الآصرة الضدّية.

الخاتمة:

في نهاية هذه الدراسة التي حاول بها الباحث القاء الضوء على دلالة المفردات الواردة في كتاب العشرات في اللغة والإطار الدلالي الذي يكتنفها في حقل معنوي واحد اخلص إلى ذكر أهم ما تحتويه هذه الدراسة من نتائج تكشف أهمية هذا الكتاب ومكانته في اللغة وأحقيته بالدراسة والبحث ومن أهم النتائج التي انبثقت ما يأتي:

ممّا تقدم يتضح لنا ما يأتي:

1- إنّ كتاب العشرات ينتمي إلى ميدان فقه اللغة بما احتواه من مفردات مترادفة ومشتركة ومتضادة، إلا أنه إلى المعاجم أقرب مادة ومنهجاً وذلك واضح من طريقة ترتيب العشرات، وضبطها بالشكل وتوثيقها وكثرة شواهدها.
2- جاءت العشرات معنوية لا لفظية، فالتعدد للمعنى، الذي ينصرف اليه اللفظ الواحد وقد تساوت فيه كفتي الميزان بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي
3- تقترب العشرات كثيراً من ماهية المشترك اللفظي إلا أنها تتماز بالتعالق الدلالي بين اللفظ والمعنى، بينما لا يلزم ذلك في المشترك اللفظي عموماً، فالعشرات مشترك لفظي دلالي.

(1) العشرات في اللغة مادة (الحمار): 72- 73، والمخصص: 7/ 141، وتهذيب اللغة: 5/ 54.
(2) العشرات في اللغة مادة (الحمارة): 74-75، ومقاييس اللغة: 1/ 103.

4- إنّ التعالق الدلالي هو المحور الذي استند عليه القيرواني في ترتيب عشراته، وهذا ما يُفسر لنا سبب الإرباك المنهجي الذي لحظناه في طريقة تفسير المفردات، واختيارها، وحتى عشوائية توظيفها في بعض المواضع.

5- الخروج عن المألوف في اللغة كان سمة حاضرة في العشرات، وهذا ما لمسناه في تعامله مع المشتقات والمذكر والمؤنث، وتوظيفها بشكل مستقل عن بعضها البعض، على الرغم من ارتباطها الدلالي واتحادها في الجذر اللغوي.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**
- الزمخشري (ت 467 هـ)، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، 1923.
- القرطبي (ت 671 هـ)، (الجامع لأحكام القرآن)، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1985.
- الأزهري (ت 370 هـ)، تهذيب اللغة نشر: عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، بيروت، 1968.
- ابن دريد، (ت 321 هـ)، جمهرة اللغة، طبعة حيدر أباد، 1351 هـ.
- محمد بن علي حاشية الصبان على شرح الأشموني، ترتيب: مصطفى أحمد حسين، القاهرة، 1947.
- ابن جني، (ت 392 هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بغداد، ط4، 1990.
- حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، منشورات وزارة الثقافة العراقية، دار الرشيد، 1980.
- أحمد بن محمد الحملاوي، (ت 1315 هـ)، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض، المجلد الأول.
- الرضي الأستر آبادي، شرح الشافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، بيروت – لبنان، 1975.
- ابو عبد الله القزاز القيرواني (ت 412 هـ)، العشرات في اللغة، تحقيق: د. يحيى عبد الرؤوف جبر، ط1، 1984.

- الفيروز آبادي (ت 817 هـ)، القاموس المحيط، ط3، القاهرة، 1933.
- لسرقسطي، كتاب الأفعال، تحقيق: حسين محمد شرف، القاهرة، 1975.
- ابن منظور (ت 630 هـ)، لسان العرب، طبعة بيروت، دار صادر.
- المثلث، البطليوسي، تحقيق: صلاح مهدي الفرطوسي، بغداد، 1981.
- ابن جني المحتسب، ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- ابن سيدة (ت 458 هـ)، المخصص، طبعة بولاق، 1321 هـ.
- محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، ، ط2، مكتبة لبنان، 1996.
- أحمد مختار عمر معجم الصواب اللغوي، ط1، عالم الكتب، القاهرة، ، 2008.
- أحمد مختار عمر (1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، بيروت، 2008.
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979.
- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داوودي.
- صلاح مهدي الفرطوسي والدكتور هاشم طه شلاش، المهذب في علم التصريف، ط1، بيروت، 2011.